بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

ما هو السرّ فى هذه الجموع ؟

للدكتور إبراهيم أنيس

تروى لنا المعاجم العربية مجموعا عجيبة للمفردات : رأس ، رئم ، بئر ، رأى ، مؤق ، سؤر ، هى على الترتيب : آراس ، آرام ، آبار ، آراء ، آماق ، آسار .

وقد كنا ندهش لهذه الجموع التى قيل لنا إن ظاهرة القلب المكانى قد لحقتها ؛ وإنها فى الأصل : أرآس ، أرآم ، أبآر ، أرآء ، أمآق ، أسآر ؟ . ثم تقنع كتب الصرف بذلك ، ولا تكاد تفسر لنا لماذا وقع القلب فى هذه الأمثلة بالذات ، ولم يقع فى جمع « ظِئْر » بمعنى المرضع ، « دَأْث » بمعنى الدنس ، « لِئْم » بمعنى الند والنظير ، « رِئْد » بمعنى الترب المماثل فى السن ، « رَأْد ، رُؤْد » بمعنى أصل الأضراس فى اللحى ؟ ؟ إذْ لم يرد فى جمع هذه الكلمات إلا : أظآر ، أدآث ، ألآم ، أرآد ، أى على الأصل فقط ! !

وقد تبين لنا فى هذه الدراسة أن السرّ فى وقوع القلب المكانى فى تلك الأمثلة الستة هو اختلاف نسبة الشيوع بين السلاسل الصوتية التى تتألف منها تلك الجموع ، فحين

كانت نسبة شيوع الحرفين المتواليين فى الصورة الأصليه قليلة، ولكنها فى الصورة الفرعية كثيرة ، على حسب ما جاء فى إحصاءات جذور اللغة العربية — لوحظ أن القلب المكانى قد يحدث . فنى جمع مثل « آراء » نجد فى إحصاءات الجذور الثلاثية أن الثنائى المؤلف من الراء وبعدها الهمزة نسبة شيوعه سبع مرات فقط ؛ فى حين أن الهمزة وبعدها الراء ١٦ مرة ! ! لذلك نتصور أن الثنائى « أر » يخطر فى الذاكرة أسرع مما يخطر الثنائى « رأ » ، ويترتب على ذلك أن الثنائى « أر » يسبق إلى اللسان ويحل محل الثنائى الآخر « رأ »، وهذا هو القلب المكانى .

ونجد النسبة الآنفة الذكر فى ثلاثة من الأمثلة الستة هى : آراس ، آرام ، آراء .

وأما الشأن مع الأمثلة الثلاثة الأخرى فنجد أن النسبة مع « آبار » هى : « ب أ » ٤مرات ، « أ ب » ١٥ مرة ، ومع آماق » هى : « م أ » ٧ مرات ، «أم» ١١ مرة . ومع « آسار » هى « س أ » ٨مرات ، « أس » ١١ مرة[1] .

فى حين أنه إذا نظرنا إلى مثل من تلك التى لم يقع فى جمعها القلب المكانى ، مثل كلمة « ظئر » نجد أن نسبة الشيوع هى : « ظ أ » ٣ مرات ، ولكن « أ ظ » صفر ، أى أن الذاكرة تصر على الثنائى الأصلى « ظ أ » ، ولايكاد يخطر فيها الثنائى « أ ظ » الذى لاوجود له فى أول الجذر الثلاثى . ولذلك تبقى الصورة الأصلية دون قلب .

وكل ذلك إذا لم يلتبس الجمع فى حالة القلب المكانى بجمع كلمة أخرى أشهر وأعرف ، فحينئذ نلحظ أن خوف اللبس يمنع وقوع القلب .

وفى ضوء ما تقدم رأينا أن نستعرض هنا الأمثلة التى عثرنا عليها فى المعاجم القديمة مثلاً مثلا ؛ لنرى ما روى عنها فى تلك المعاجم ، ولنتبين السر فيما أصاب بعضها من قلب مكانى : والسر فى عدم وقوع القلب فى البعض الآخر .

---

(١) راجع إحصاءات الحاسب الإلكترونى لجذور اللغة العربية — نشر جامعة الكويت .

أولا :

الأمثلة التى روى القلب المكانى فى جمعها على وزن أفعال :

١ ــ (رأس) . جاء فى اللسان: « رأس كل شئ أعلاه ، والجمع فى القلة أرؤس ، آراس على القلب ، ورءوس فى الكثير ، ولم يقلبوا هذه » . فلم يشر صاحب اللسان إلى الصورة الأصلية فى أفعال ، أى أرآس ، مكتفيا برواية المقلوب . وكما أشرنا آنفا نلحظ أن نسبة شيوع الثنائى « رأ » فى إحصاءات الجذور الثلاثية قليلة ؛ هى سبع مرات فقط ، فى حين أن الثنائى « أر » ١٦ مرة ، ولذلك وقع القلب المكانى .

فإذا خيف اللبس لم يقع القلب ، ولذلك وجدنا أن كلمة « لئم » بمعنى الند والنظ لاتجمعها المعاجم مع القلب برغم أن نسبة الشيوع هى : « ل أ » ٢ مرتان فقط ، « أ ل » ١١ مرة . وكنا نتوقع أن يحدث هنا القلب ، ولكن المروى هو « ألآم » فقط فى ذلك الشاهد الشعرى :

أنقعد العام لا نجنى على أحدٍ مجندين وهذا الناس ألآمُ

ومن المؤكد أن السرّ فى عدمَ وقوع القلب المكانى فى جمع « لِئْم » برغم تحقق الشرط فى نسبة الشيوع ، هو خوف اللبس مع جمع كلمة أخرى مشهورة جدا هى « آلام » جمع « ألم » بمعنى وجع .

٢ ــ رئم ، والمشهور فى جمعها هو « آرام » ، فالنسبة هنا محققة وتسوغ القلب المكانى وإن جاء فى المعاجم أيضا «أرآم» على الأصل . جاء فى اللسان : « الرئم الخالص من الظباء ، وقيل هو ولد الظبي والجمع « أرآم » ، وقلبوا فقالوا آرام » .

ونسبة الشيوع هنا هى : « رأ » ٧ مرات ، ولكن « أر » ١٦ مرة !!

ولكن يبدو أن خوف اللبس هنا مع كلمة غير مشهورة أو قليلة الاستعمال لايعدّ لبسا حقيقيا يوقع فى البلبلة والحيرة ، ولذلك لم يمنع من وقوع القلب المكانى فى جمع « رئم » على آرام وهو الجمع الأشهر ، برغم أن المعاجم تروى هذا الجمع نفسه لكلمة أخرى غير مشهورة هى « إرَم » ؛ فنرى فى اللسان ما نصه : « والإرَم حجارة تنصب علماً فى المفازة ،

والجمع آرام ، أروم، مثل ضلع وأضلاع وضلوع : وفى الحديث: ما يوجد فى آرام الجاهلية وخيرّبها فيه الخمس ، والأرآم الأعلام وهى حجارة تجمع وتنصب فى المفازة يهتدى بها واحدها إرَم كعنب » .

فيبدو أن قلة شهرة آرام بمعنى الأعلام لم تمنع من وقوع القلب الذى فى آرام بمعنى الظباء، وذلك لضعف احتمال اللبس بين الجمعين . ومع هذا فقد أبقت المعاجم على الصورة الأصلية أرآم أيضا بمعنى الظباء .

ولذلك ندهش جدا حين نرى رواية فى اللسان تجمع كلمة « ثَأر » على آثار، أى مع القلب المكانى ! ! فيقول صاحب اللسان :« ابن سيده: الثأر الطلب بالدم، وقيل: الدم نفسه، والجمع أثآر ، وآثار على القلب، حكاه يعقوب » .

فاللبس هنا مؤكد مع جمع كلمة أخرى مشهورة جدا وكثيرة الاستعمال هى « أثر » التى جمعها المشهور آثار !! لذلك نتشكك فى حكاية يعقوب لجمع « ثأر » على آثار ، أى مع القلب . وكأن ابن سيده فى قوله: « حكاه يعقوب » يريد أن يحمل يعقوب وحده وزر هذه الرواية !!

ونحن على كل حال لا نعرف شاهدا من كلام العرب ورد فيه الجمع «أثآر» أو «آثار» لكلمة ثأر ، وإنما المشهور المروى فى النصوص هو جمعها جمعا صحيحا مؤنثا ومع تخفيف الهمزة ، أى ثارات !! جاء فى اللسان :

« ونقول ياثاراتِ فلان ، أى يا قتلة فلان ، وفى الحديث: ياثاراتِ عثمانا، أى ياأهل ثاراته ، ويأيها المطالبون بدمه ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقال حسان بن ثابت .

لتسمعنّ وشيكاً فى ديارهـــــم .:. الله أكبر ياثاراتِ عثمانـــــــا »

وهنا نرى أن الجوهرى إزاء هذا النص يحاول مجاهدا ومع قدر من التعسف أن يفسر« ياثارات عثمانا » على أنه إما نداء لطالبى الثأر ، أو نداء للقتلة ؟

والحقيقة أنه لا يعدو أن يكون من أساليب الندبة ، وأن الجمع «ثارات» لتضخيم شأن «الثأر» وبيان خطورته ، ولا سيما مع خليفة المسلمين عثمان !

ويزيد من شكّنا فى حكاية يعقوب أن الإحصاءات [ترينا أن «ث أ» ٧ مرات ؛ ولكن « أث » ٦ مرات ، فلا مسوغ للقلب مطلقاً ، بل إن جميع الظروف اللغوية فى الكلمة تأبى الرواية التى انفرد بها يعقوب :

٣ — « بئر»، والمشهور فى جمعها هو «آبار» .ونسبة الشيوع هنا محققة ومسوغة للقلب إذ هى : ب أ ٤ مرات فقط ، ولكن « أ ب » ١٥ مرة . ويساعد على ذلك أن المعاجم لا تذكر اسما ثلاثيا من مادة (أبر) يتطلب جمعا على وزن أفعال ، فلا خوف من اللبس فى حالة القلب المكانى . جاء فى اللسان ما نصه :

« البئر القليب أنثى والجمع أبآر بهمزة بعد الباء ،ومقلوب عن يعقوب،ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول: (آبار) ، فاذا كثرت فهى البئار، وهى فى القلة، أبؤر، وفى حديث عائشة : اغتسلى من ثلاثة أبؤر يمد بعضها بعضا » .

وفى رأيي أن لا مسوغ لرواية الجمع « أبآر» إلا أن يكون ذلك لمجرد الإشارة إلى أنه الأصل ، ثم اندثر من الاستعمال :

٤ — «رأى» والمشهور فى جمعها هو «آراء»ونسبة الشيوع هنا محققة ومسوغه للقلب المكانى ؛إذ هى :«رأ» ٧ مرات ، ولكن «أر» ١٦ مرة . ولا احتمال للبس مع كلمة «أرْى» التى لم ترو لها المعاجم جمعا .

جاء فى اللسان :«والرأى معروف وجمعه أرآء ، آراء أيضا مقلوب» ولكن يذكر صاحب اللسان أيضا ما نصه :

«والرأى الاعتقاد اسم لامصدر،والجمع آراء،قال سيبويه:لم يكسّر على غير ذلك،وحكى اللحيانى فى جمعه أرء » .

لا مبرّر كذلك لرواية الجمع (أرآء) إلا على أنه الأصل وقد اندثر من الاستعمال ولا سيما حين نذكر قول سيبويه إن (رأى) لم يكسر على غير آراء !!

٥ ــ مأق العين ، موقها بمعنى حرف العين الذى يلى الأنف . والمشهور فى الجمع هو « آماق » . ونسبة الشيوع محققة ومسوغة للقلب المكانى ، وإن لم يكن الفرق فى النسبة كبيراً كما فى الأمثلة السابقة؛ فنسبة الشيوع هنا هى «مأ» ٧ مرات ، ولكن «أم» ١١ مرة .

وكما جاء فى اللسان لم يذكر اللحيانى فى جمع هذه الكلمة إلا الجمع المشهور ، أى «آماق» ، وهو الذى ورد فى شعر الخنساء .وأما قول أبى الهيثم إن الجمع قد يكون أيضاً «أمآق» وروايته فى ذلك شعرا مجهولا صاحبه ، فلاحجة له بهذا الشاهد وحده ؛ إذا ربما كانت الرواية الصحيحة فى هذا الشاهد هى «آماق» ولا يختل الوزن بذلك .

وليس يسوغ فى رأيى رواية الجمع «أمآق» بمعنى الألحاظ إلا أن نفترض أنه الأصل وقد اندثر من الاستعمال. ومما يزيد هذا الفرض قوة أن المعاجم العربية القديمة قد روت الجمع « أمآق » وحده بمعنى آخر هو النواحى الغامضة من أطراف الأرض ، فقد جاء فى اللسان ما نصه :

« الليث : المؤق من الأرض والجمع أمآق النواحى الغامضة من أطرافها » .

ويقضى ذلك بتخصيص الجمع «آماق» للألحاظ ، والجمع «أمآق» للنواحى الغامضة من أطراف الأرض ، منعا للبس بين الدلالتين .

٦ ــ سؤر ، تلك هى الكلمة التى روى يعقوب وحده جمعا لها على «آسار» أى مع القلب المكانى . فإذا رجعنا إلى اللسان وجدنا ما نصه :

السؤر بقية الشئ وجمعه أسآر ، وسؤر الفأرة وغيرها ، وقوله:أنشده يعقوب فى المقلوب :

إنا لنضرب جعفرا بسيوفنـــــا ضرب الغريبة تركب الآســـــارا

أراد «الأسآر» فقلب ، ونظيره الآبار والآرام فى جمع بئر ورئم » :

وبرغم أن الفرق فى النسبة هنا غير كبير إذهو : «سأ» ٨ مرات ولكن «أس» ١١ مرة نشعر مع ذلك أن القلب فى «آسار» إن صحت الرواية إنما أمكن وقوعه بسبب أن المادة (أسر) لا تتضمن اسما ثلاثيا يتطلب جمعا على وزن أفعال ، وعليه فلا خوف من اللبس مطلقا .

على أنه من ناحية أخرى يمكن أن يقال: إن صغر الفرق فى نسبة الشيوع جعل الجمع «آسار» أقل شهرة فى الاستعمال اللغوى، ولذلك انفرد يعقوب ، بروايته ؛ برغم أن الوزن فى شاهده يصح أيضا مع الجمع الآخر «أسآر» فلا حجة له بهذا الشاهد وحده .

ثانيا :

الأمثلة التى لم يرو القلب المكانى فى جمعها على وزن أفعال :

(ا) إما لأن النسبة الإحصائية المؤهلة للقلب غير محققة .

(ب) أو لأن خوف اللبس مع كلمة أخرى يمنع من وقوع القلب :

١ ــ «ظئر» بمعنى المرضع جمعت على «أظآر» فقط؛ لأن نسبة الشيوع هى: «ظأ» ٣ مرات ، ولكن «أظ» صفر .

٢ ــ «الدأث» بمعنى الدنس ، جمعت على « أدآث » فقط ؛ لأن النسبة هى «دأ» ٦ مرات ، ولكن «أد» ٦ مرات أيضا .

٣ ــ «ليم» بمعنى الندّ والنظير ، فبرغم تحقق النسبة المطلوبة؛ إذ هى «لأ» ٢ مرتين فقط ولكن «أل» ١١ مرة ، ومع ذلك نرى أن خوف اللبس مع «آلام» بمعنى أوجاع منع من وقوع القلب المكانى مع معنى الند والنظير ، ولذلك جمعت على «ألآم» فقط .

أما بعد :

فلم يشذّ عن القاعدة التى اهتدينا إليها هنا سوى جذر واحد ثلاثى يتمثل فى هذه الكلمات :

١ ــ رئْد بمعنى الترب المماثل فى السن .

٢ ــ رَأْد ، رُؤْد ، بمعنى أصل الأضراس فى اللحىّ .

فقد روى الجمع فى هذه الكلمات على صورة واحدة هى «أرآد» فقط، برغم أن النسبة الإحصائية محققة ومسوغة للقلب وهى :

«رأ» ٧ مرات، ولكن «أر» ١٦ مرة . بل إن مما يزيد الأمر هنا غرابة أن المادة اللغوية (أرد) لا وجود لها فى المعاجم ، فلا احتمال لأى لبس، أى أن جميع الشروط المطلوب توافرها لحدوث القلب محققة ، ومع ذلك جاء الجمع على الأصل وحده ودون قلب ، أى «أرآد» فقط !!

ولا غرابة أن نجد فى المعاجم هذا الجذر الشاذ ، فالشذوذ يؤكد القاعدة .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة

ابراهيم انيس

نوفمبر ١٩٧٤